

علم التنجيم في الغرب الإسلامي
ابن البنا المراكشي أنموذجا

ياسين الزواكي

جامعة ابن طفيل بالقنيطرة- المغرب-

zouakisociologie@gmail.com

تاريخ الوصول: 2019/06/23 القبول: 2019/06/24 النشر على الخط:
Received : Accepted : Published online :

ملخص

ساهم ابن البنا المراكشي في تطور علمي الفلك والرياضيات بالغرب الإسلامي خلال القرنين 13/14م، ويعزى اهتمامه بهذا العلم إلى تأثيره بأساتذته واطلاعه على التقليد الفلكي الكلاسيكي من جهة، ثم المنزلة المهمة التي كان يحظى بها علم التنجيم لدى الخلفاء والسلطين من جهة أخرى. ومع ذلك فقد كان موقفه من التنجيم متذبذبا بين التسليم بموضوعية هذا العلم واطراد قوانينه تارة ورفضه ونقضه من خلال الرد على المنجمين وتهافتهم تارة أخرى.

الكلمات المفتاحية: علم التنجيم؛ علم الفلك؛ ابن البنا المراكشي؛ الغرب الإسلامي.

Abstract

Ibn al-Bannā' al-Marrākushī contributed in the development of astronomy and mathematics in the Islamic West during the 13th / 14th centuries.

His interest in this science is attributed to the influence of his teachers and his knowledge of the classical astronomical tradition on the one hand, and then the important status given to astrology by the caliphs and sultans on the other hand. However, his point of view on astrology was oscillating between acknowledging the objectivity of this science and its laws and sometimes rejecting it and denying it by responding to the astrologers and their occasional rush.

مقدمة

نهدف في هذه المقالة إلى مقارنة مسألة محددة في تاريخ التقليد العلمي العربي، وهي مكانة التنجيم في الغرب الإسلامي، وسنقارب هذه المسألة من خلال قسم نبحث فيه وضعية التنجيم ببلاد الأندلس بصفة عامة وقسم آخر سنركز فيه على تحليل وضعية علم التنجيم بالمغرب من خلال أفكار ابن البنا المراكشي.

وكان اهتمامنا بهذا الموضوع نابع من نقص الدراسات التي قاربت الموضوع على الرغم من منزلته ضمن المتن العلمي بالغرب الإسلامي، وقد نتج عن أبحاث ابن البنا العلمية تأسيس مدرسة علمية في مجال الرياضيات والفلك¹.

¹ يمكن الرجوع إلى البحوث التي أنجزت في السنوات الأخيرة في موضوع الفكر العلمي لابن البنا المراكشي وامتداداته اللاحقة من خلال مؤلفات الباحث المغربي محمد أبلان والمستشرق الفرنسي رونو عن ابن البنا المراكشي، وأما المرجع الأساسي الذي أنجز عن بيبيولوجرافيا ابن البنا فعنوانه: حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي من تأليف الأستاذ محمد أبلان بتعاون مع الأستاذ أحمد جبار، وهي الدراسة الوحيدة فيما نعلم التي قدمت جردا دقيقا لكل مؤلفات ابن البنا المراكشي المعروفة في الوقت الراهن، لذلك كان جل اعتمادنا في الإحالات المتعلقة بالمؤلفات المطبوعة والمخطوطة لابن البنا على هذا المرجع. وأما إطلاقنا لاسم مدرسة علمية على الإنجاز العلمي لابن البنا المراكشي وأتباعه فيُعزى إلى سيطرته على الفكر العلمي بالغرب الإسلامي الوسيط طيلة القرن الذي عاش فيه والقرون اللاحقة عليه من جهة، ثم عدد المؤلفات الشارحة أو الناقدة التي كتبت عنه من طرف الأعلام المعاصرين له أو أسلافه.

أثارت هذه المدرسة في جانبها الرياضي اهتمامات باحثين عرب ومستشرقين، بيد أن الجانب المتعلق بالفلك عموماً والتنجيم بشكل خاص لم ينل ما يستحق من الدراسة.

1. التنجيم لغة واصطلاحاً

التنجيم، لغة، مصدر باب التفعيل من نَجَمَ ينجم تنجيماً، وفي الأصل: نجم المال، إذا أده نجوماً، ونجم عليه الدية. إذا قطعها عليه نجماً نجماً، ويُقال: جعلت مالي على فلان نجوماً معدودة يؤدي عند انقضاء كل شهر منها نجماً. وقد نجمها عليه تنجيماً¹

أما الفارابي في كتابه إحصاء العلوم، أنزل علم النجوم في المرتبة الرابعة ضمن الأقسام السبعة لعلم التعاليم، بحيث عرّفه بقوله: "وأما علم النجوم فإن الذي يُعرف بهذا الاسم علمان: أحدهما علم أحكام النجوم، وهو علم دلالات الكواكب على ما سيحدث في المستقبل، وعلى كثير مما هو الآن موجود، وعلى كثير مما تقدم، والثاني: علم النجوم التعليمي، هو الذي يعد في العلوم وفي التعاليم وأما ذلك فإنه إنما يُعدّ في القوى والمهن التي بها يقدر الإنسان على الإنذار بما سيكون مثل عبارة الرؤيا والزجر² والعرافة أشباه هذه القوى³."

ويضيف بأن علم النجوم التعليمي يبحث في حركات الأجسام السماوية وفي الأرض⁴. أما الخوارزمي فيُسمّيه بعلم النجوم، ويسمى بالعربية التنجيم وباللغوية اصطرنوميا، وأصطر هو النجم بينما نوميا هو العلم¹.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 12، دار صادر، بيروت، لبنان، [د. ت]، ص. 570.

² - تحدّث ابن النديم في الفن الثالث من المقالة الثامنة من كتاب الفهرست، عن الكتب المصنّفة في معاني شتى لا يُعرف مصنّفوها ولا مؤلّفوها، ومن بينها عناوين كتب متعلقة بالخرافات والبطالين ونوادير المغفلين والكتب المؤلفة في الخيلان والاحتلاج والشّامات والأكتاف ثم ذكر عناوين الكتب المؤلفة في مجال الفأل والزجر والحزّز منها: كتاب زجر الفرس، زجر الروم، زجر الهند، زجر العرب، زجر الطير والفأل والعيافة والقيافة والكهانة للمدائني، وغيرها من المؤلفات المصنّفة في هذا الباب. (ابن النديم، الفهرست، تحقيق أيمن فؤاد السيد، مج2، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، الطبعة الثانية مزيدة ومنقّحة، 2014، ص. 343-344-345).

³ - أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص. 28.

⁴ - إحصاء العلوم، نفسه، ص. 28.

كما يعرف حاجي خليفة علم التنجيم بكونه علم يعرف به الاستدلال إلى حوادث عالم الكون والفساد بالتشكلات الفلكية وهي أوضاع الأفلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع إلى غير ذلك، وهو عند الإطلاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام حسابيات وطبيعية² ووهميات³. أما علم التنجيم من منظور ابن البناء، وهو موضوع هذه المقالة فيعرفه في رسالته المدخل إلى صناعة أحكام النجوم "بقوله علم تقدمه المعرفة بالحوادث في كليات العالم وجزئياته الظاهرة لنا على التحصيل"⁴.

2. توصيف سوسيو تاريخي لوضعية التنجيم بالأندلس والمغرب

انتقل علم التنجيم إلى الحضارة العربية الإسلامية عبر الاحتكاكات التجارية والثقافية والسياسية، لكن الكلدان كانوا أكثر تأثيراً من هذه الناحية، حيث أخذ العرب عنهم علم النجوم باصطلاحاته وأسمائه، وإن كان معظم أسماء السيارات لا يرد إلى أصله الكلداني، فربما كان له أسباب عارضة ضاعت أخبارها⁵.

¹ - الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة 1982.2. ص. 235.

² - يعرف حاجي خليفة أقسام التنجيم الثلاثة فيجز القسم الأول والثاني في حين ينيذ القسم الثالث استناداً إلى الأحاديث النبوية في هذا الشأن يقول: اليقينيات فهي يقينية فلا منع في علمها شرعاً، وأما الطبيعيات كالأستدلال من انتقال الشمس في البروج الفلكية إلى الفصول كالحرب والبرد والاعتدال فليست بمردودة شرعاً أيضاً. وأما الوهميات كالأستدلال إلى الحوادث السفلية خيراً أو شراً من اتصالات الكواكب بطريق العموم أو الخصوص، فلا استناد لها إلى أصل شرعي وذلك هي مردودة شرعاً كما قال عليه الصلاة والسلام (إذا ذكر النجوم فامسكوا وقال تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم انتهوا، وقال عليه الصلاة والسلام من أمن بالنجوم فقد كفر لكن قالوا هذا إن اعتقد أنها مستقلة في تدبير العالم. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج 2، دار إحياء التراث العربي- بيروت لبنان. ص. 1930.1931.

³ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج 2، نفسه، ص. 1930.

⁴ - سالم يفوت، "مدخل لقراءة المدخل إلى صناعة أحكام النجوم"، ضمن العلم والفكر العلمي، تنسيق بناصر البعزاتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات رقم 94، الرباط، ط1، 2011. ص. 134.

⁵ - جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج 3، دار الهلال، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها حسن مؤنس، ص. 13.

لما انتهت أيام بني أمية 750م/132هـ، وأصبحت بغداد مركز الأمة الإسلامية واختلط العرب
بالأمم الأعجمية فزاد اهتمامهم بأحكام النجوم¹

فمن بين المؤلفين الذين ترجمت كتبهم يمكننا أن نذكر ذورثيوس (عاش ق1. ق.م) وفالنيس وهرمس (عاشا في ق4 ق.م)، بالإضافة إلى بطلميوس. وأيضا تمت ترجمة حوالي عشرين كتابا هنديا، لبعض المنجمين ككنكا، وأيضا الاعتماد على التقليد الفارسي ككتاب زرادشت وجمسب، وأيضا التقليد التنجيمي البابلي.²

وبسبب الموقف الديني لفئة عريضة من المجتمع الإسلامي واجه علم التنجيم صعوبات كثيرة، لهذا يُفسر بعض الباحثين انتقاله عبر تلبسه ثوب العلوم الدقيقة. "فنقل تلك العلوم كان مسيجا بلُغة تَعَبَقَ بدين غامض غير مفهوم"³.

وكان من بين التقنيات التي اعتمد المشتغلين بالتنجيم والفلك لتخطي هذه الشبهات نحت مصطلح خاص هو علم الهيئة، هذه التسمية لم يكن لها مقابل في اللغة اليونانية. فمیل علماء التنجيم نحو كسب رضا المؤسسات الدينية وإعلان إعراضهم عن علم أحكام التنجيم أيضا دليل على الموقف السلبي الذي كانت تحمله المؤسسة الدينية تجاههم.⁴

يقدم صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم وصفا لوضع التنجيم بالأندلس بقوله "وأما صناعة أحكام النجوم فلم تزل نافقة بالأندلس قديما وحديثا واشتهر بتقلدها جماعة في كل عصر إلى عصرنا هذا. فكان من مشاهيرهم في زماننا وزمان بني أمية منهم أبو بكر يحيى بن أحمد المعروف بابن الخياط كان أحد تلاميذ أبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي في علم العدد والهندسة ثم مال إلى أحكام النجوم فبرع فيها واشتهر في علمها وخدم بها سليمان بن الحكم ابن

¹ - كارل نيلينو، علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2011. ص.146.

² - أحمد جبار، العلوم العربية في عصرها الذهبي، ترجمة عبد السلام الشداوي ومحمد أبلأغ، بيت الفنون والعلوم والآداب، الرباط، ص.75.

³ - تشارلز بيرنيت، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا، ضمن مؤلف الحضارة العربية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير سلمي الخضراء الجيوسي، ط2، بيروت، 1999. ص.1444.

⁴ - جورج صليبا، العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، ترجمة محمود حداد، مراجعة وتحرير مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم ناشرون- لبنان-بيروت، ط1، 2011، ص.144.

الناصر لدين الله أمير المؤمنين في زمان الفتنة وغيره من الأمراء، وآخر من خدم بذلك الأمير المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون¹.

فالعرب كانوا على معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة، لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدريب في العلوم².

كما قدم لنا المقري بدوره وصفا تعبيرا لوضعية علم التنجيم والفلسفة بالأندلس، فيقول "وكل العلوم عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم، ولا يتظاهر بهما خوف العامة، فإنه كلما قيل (فلان يقرأ الفلسفة) أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم الزنديق، وقيدت عليه أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقبله السلطان تقريبا لقلوب العامة، وكثيرا ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت"³. لكن نسجل تباينا بخصوص الفقهاء والعلماء من أحكام التنجيم فبعضهم اعتبرها مذمومة وهذا ما تحدث عنه حاجي خليفة نقلا عن الامام الشافعي⁴.

وفي كتاب سراج التوحيد لليافعي (توفي ق14م) انتهى إلى أن علم النجوم محمود إذا تم اعتباره علما أليا لخدمة أغراض متعلقة بالحياة الدينية للناس، وأما توظيفه كألة لتحديد الطالع والزجر وغيرها من الأمور فهي تدخله في باب العلوم المذمومة⁵، وهو ذات الموقف الذي نجده في كتاب الخطيب البغدادي رسالة في علم النجوم هل الشروع فيه محمود أم مذموم؟⁶.

3. منزلة المنجمين لدى الخلفاء بالأندلس والمغرب

¹ - صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، نشره الاب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، 1912. ص.86.

² - طبقات الأمم، نفسه، ص.45.

³ - المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج1، دار صادر بيروت، 1968. ص.221.

⁴ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج 2، مصدر سابق، ص.1931.

⁵ - اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي، سراج التوحيد الباهج النور، تحقيق: مجدي يوسف أمين، مها مظلوم خضر، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، القاهرة، ط1، 2013، ص.117.

⁶ - البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، رسالة في علم النجوم هل الشروع فيه محمود أم مذموم؟، تحقيق طارق محمد العمودي، دارا لكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص.21.

حظي علم النجوم خلافا لبقية العلوم في العصور الوسطى بأهمية ووضع خاصين من طرف الخلفاء والأمراء والسلطين، كما أسلفنا الذكر. ذلك أنهم كانوا لا يرمون أمورهم ولا يقدمون على خوض غمار الحروب دون الرجوع إلى آراء المنجمين وكانت الجيوش لا تسير إلى ميادين القتال إلا في الوقت الذي يقع عليه اختيار المنجمين¹. وهو ما يصطلح عليه بالتنجيم الإستفهامي أو المتعلق بالاختيارات الذي يحسب اللحظة المناسبة التي يترتب فيها الشروع بفعلها، بهدف أن تكون وضعية الكواكب مواتية، أو يُحدد مستقبل الأحداث انطلاقا من الطالع الفلكي في اللحظة التي تمت فيها الإستشارة².

وفي هذا السياق أورد صاحب الحلل الموشية رواية عن عسكري اسمه محمد عبد العزيز بن الإمام، كان مقربا من الأمير المعتمد بن عباد (431هـ-1040م) (488هـ-1095م)، إذ يحكي هذا العسكري عن اعتماد هذا الأمير على منجمه في تحديد طالع الوقت أثناء معركة الزلاقة التي شارك فيها المعتمد بن عباد مع المرابطين ضد أذفنش ملك قشتالة، يقول "حدث أبو محمد عبد العزيز بن الإمام، أحد خواص المعتمد بن عباد، قال: كنت في عسكره عند توجهه مع يوسف بن تاشفين إلى لقاء الطاغية أذفنش بن فرلنדה، ملك قشتالة في غزوة الزلاقة، وهي أول غزوة غزاها المرابطون بالأندلس، وكان الناس يرحلون برحيل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وينزلون بنزوله تقديما له ورعيا لمكانه من السن. وعظم الملك، ووفور العدد، وجودة الرأي، وكمال العقل، فسمعنا طبوله تضرب، وقيل إنَّ أمير المسلمين يتقدم إلى لقاء العدو، فأمر المعتمد بن عباد منجمه بتحقيق طالع الوقت، والنظر فيه، قال: فوجده بحسب ما تقتضيه أصول تلك الصنعة، دالا على أن الدائرة وأن الظفر والغلبة للمشركين، قال: فأشفق المعتمد من ذلك، وكره أعلام أمير المسلمين به، لنفاره من الاستدلال بالنجوم، والتظاهر بها، والعمل بها، ولم يُمكنه غير مساعدته، والانتقال معه، فبينما هو يحاول ذلك، إذ خفتت الأصوات، وهدأت الضجة، وجاء من أخير أن أمير المسلمين، قد بدأ في الانتقال من مناخه، فلما كان بعد ساعة من ذلك بعينه، عادت الأصوات، وضربت الطبول، فأمر

¹ - حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 4، العصر العباسي الأول في الشرق ومصر والمغرب، دار الجيل- بيروت- مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الرابعة. 1996، ص. 524.

² - خوان فيرنيت، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ترجمة نهاد رضا، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا ط1. 1997، صص. 230-231.

بن عباد منجمه بأخذ طالع الوقت، والنظر فيه، فوجده أوفق طالع، وأسعد (نصبة) له، وأدلها على الظفر للمسلمين، والدائرة على المشركين، حسبما جرى الأمر عليه. قال: فتعجبت من ذلك، ومن قوة سعد يوسف بن تاشفين، وقال: هذا، من المصنوع لهم، المعتنى بأمرهم الملهمين إلى رشدهم، الذين يدبر لهم التوفيق، ويخدمهم البخت وذلك كله بمشيئة الله تعالى، وسابق علمه، وناقد حكمه.¹

فمن بين الأسباب الكامنة وراء إنشاء المراصد الفلكية من طرف الخلفاء (مرصد مراغة، وسمرقند، إسطنبول) هو اضطرار الحكام لتزويد بلاطهم أو عواصمهم بأفضل الإمكانيات المتاحة لرصد حركة الأجرام السماوية.²

لم يكن ذلك لأغراض فلكية بحتة، بل كان كذلك، وأحياناً بصفة أساسية لغرض تزويد المنجمين الملكيين بالبيانات الدقيقة التي تقوم عليها تفسيراتهم وتنبؤاتهم الضرورية للتخطيط السياسي والعسكري.³

وتندرج هذه المحاولات الإصلاحية في مجال الهيئة والنجوم ضمن تقليد الشكوك على هيئة بطلميوس التي تتناقض معطياتها الرياضية الواردة في المجسطي مع نتائج الرصد الواردة في كتاب الاقتصاص، وقد انصبت جهود علماء الأندلس في إطار هذه الإصلاحات لكنها لم تخرج عن الإطار الفلسفي للمدرسة الأرسطية " سيتم اقتراح نهجين مختلفين للغاية، واحد في الغرب الإسلامي، والآخر في الشرق. في الأندلس، يقوم الجواب على أساس أرسطي: التخلي عن الدوائر والأطوار والعودة إلى مجالات متجانسة أكثر تماسكا بكثير من وجهة نظر "المادية".

¹ - الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مؤلف مجهول، تحقيق، سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء. الطبعة الأولى. 1979. ص. 57-58.

² - راجع بهذا الخصوص الفصل الرابع المعنون ب: الرصد وقراءة الغيب من القسم الأول ضمن الدراسة التي أنجزها الباحث: عكاش سامر في، مرصد إسطنبول، هدم الرصد ورصد الهدم، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2017.

³ - هوارد تيرنر، العلوم عند المسلمين، ترجمة فتح الله الشيخ، مراجعة احمد عبد الله السماحي، المشروع القومي للترجمة، إشراف جابر عصفور، العدد 644، الطبعة الأولى. 2004. ص. 141-142.

الممثل الأكثر تميزاً لهذه المدرسة هو البطروجي (في نهاية القرن الثاني عشر)، ولكن قواعدها ستبقى فلسفية على وجه الحصر تقريباً: سيكون من المستحيل إجراء عملية حسابية على أساس استنتاجاتها أو التحقق منها بواسطة ملاحظات رقمية. سيؤدي هذا المسار أيضاً إلى طريق مسدود، حتى إذا ظل النهج الفلسفي الأساسي مثيراً للاهتمام. في الشرق، ستكون الإجابة علمية وستفتح الحقبة الثانية الكبرى لعلم الفلك العربي¹، وقد تمت هذه الاجتهادات بتحفيز وتشجيع من الخلفاء والأمراء بالأندلس.

فالأمير عبد الرحمان الثاني (176-792)(238-852) بالأندلس يقول عنه بروفنسال: حامي العلماء، وصديق الأدباء ونصير الفنون، وشغوفاً بما يتصل بالفلك والتنجيم على نحو خاص، فكان يجد لذة خاصة في دراسة كتب الفلسفة القديمة والطب، لكي يرضي فضوله في استطلاع المستقبل، وأحاط نفسه بجماعة من علماء، وخصّص لهم رواتب عالية جداً، لكي يراقبوا معه السماء وحركة الكواكب الأخرى، فيكتشف طالعتها حتى أتفه عوارض الحياة اليومية².

كما يعود اهتمام عبد الرحمان الثاني بالتنجيم حسب الباحثان خوان فيرنو وخوليو سامسو إلى الأحداث الفلكية الهامة التي حصلت خلال خلافته. فكسوف الشمس الذي حصل في 17 أيلول/ سبتمبر سنة 833م والذي كان كلياً تقريباً في قرطبة أربع سكان المدينة دافعا بهم إلى الجامع الكبير لإقامة طقوس الصلاة.

كما حصل سقوط كثيف للنيازك ما بين 20 أبريل و18 ماي سنة 839م. ومنذ ذلك العهد على الأقل، أصبح المنجم من الشخصيات التي تتمتع بثقة الأمراء ومن ثم بثقة الخلفاء، مما أثار غيرة الفقهاء وبعض الشعراء³.

كما تحدث إبراهيم حركات عن بعض المثقفين من استهواهم التنجيم والتنبؤات الفلكية التي يتعلق بعضها بالنظام القائم أو بعاهل يطاح به، وذلك يعرضهم لمحنة قاسية.

¹ Régis Morelon, *L'HISTOIRE OUBLIEE*, ciel miroir des cultures, ciel et espace, hors-série N°6 sur: 46..L'histoire cachée de l'astronomie, été 1993, p

² ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة احمد مكي، ط 3، دار المعارف- القاهرة. 1994. ص. 63.

³ - خوان فيرنو، خوليو سامسو، "تطورات العلم العربي في الأندلس"، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج 1، إ. رشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العربية/ مؤسسة عبد الحميد شومان، بيروت، ط 1، 1997. ص. 360.

ويورد لنا قصة اعتقال أحمد الحبالي الأنصاري على يد السلطان محمد بن أبي الحجاج بعد رجوعه إلى الملك، وكان هذا الأديب الفلكي قد تنبأ بالثورة عليه، فلما اعتقل، ضرب بالسياط حتى كاد يهلك، ثم نفاه إلى تونس سنة 763هـ¹.

تسمح لنا هذه الوضعية التي كانت لعلم التنجيم بالأندلس بمعرفة الأسباب الحقيقية التي كانت وراء الاهتمام والدعم المادي المهم الذي قدمه الخلفاء والأغنياء لأجل الظفر بخدمات المنجمين واحتكار المعارف التنجيمية لتوظيفها في الأمور المتعلقة بحياة البلاطات والخلافة والعلاقات الدبلوماسية والحروب وبناء المدن وغيرها من الأمور المتصلة بأمر السلطان والحكم السياسي عامة.

لهذا، كانت للمنجم سلطة تفوق أحيانا سلطة الفقهاء وأصحاب الصنائع والعلوم اللغوية وسائر الفنون، وتتأسس قيمة المعارف التنجيمية على البعد البراغماتي المتصل بها، حيث تفيد بكيفية مباشرة في تدبير شؤون الملك والرياسة. فالمنجم بهذا المعنى رغم أن علمه مذموم في عمومه حسب الفتاوى الدينية وآراء عامة الجمهور، إلا أنه يمثل وسيلة لا غنى عنها بالنسبة للطبقة العليا للمجتمع وبعض الفئات الاجتماعية التي تنتمي لعامة الناس.

وعليه، لن نجد صعوبة في تفسير الأسباب التي كانت تدفع الطلاب إلى تعلّم صنعة التنجيم من جهة المنافع المادية التي تخولها لهم، ثم ارتباطها بعلم الفلك النظري من جهة أخرى، خصوصا علم المواقيت الذي يخدم الحياة الدينية للمجتمع الإسلامي. وسنخصّص القسم الثاني للنظر في مثل هذه الأسباب التي دفعت عالما كبيرا كابن البنا المراكشي الذي عاش بالمغرب إلى تعلّم فن التنجيم في سن مبكرة ودور هذه المعرفة في صقل وتحديد توجهاته العلمية في مرحلة لاحقة خلال القرنين 13م/14م.

وإذا كانت أبحاثه الرياضية قد نالت قسطا مهما من الدراسة والتحقيق فإن الجانب الفلكي، خاصة التنجيمي، لم يُستنفذ بعد من حيث الدراسة والتحقيق، ونهدف من خلال هذه

¹ - إبراهيم حركات، الثقافة وتبليغها بالأندلس في مرحلة الاستقرار، مجلة التاريخ العربي، العدد 8-1998، ص.42.

المقالة إلى تسليط الضوء على أهمية هذا الجانب من أجل بناء رؤية متكاملة بخصوص الفكر العلمي التنجيمي لابن البنا المراكشي ومدرسته بالغرب الإسلامي.

4. التعريف بابن البنا المراكشي (654-721هـ/1321-1265م)

أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء ، ولد بقاعة "ابن الناهض" عام 654هـ/1265م. سميّ بابن البنا لأن أباه كان يمتن حرفة البناء، كما اشتهر بلقب المراكشي لأنه أقام مدة في مراكش ودرس فيها العلوم الرياضية وقد نبغ على يده علماء كثيرون لمعوا في ميادين العلوم ومنهم المؤرخ ابن خلدون²، يقول عنه ابن القاضي في جذوة الاقتباس: حل بكنفي العلم والعليا، وأخذ بطرفي الدين والدنيا، كان إمام الحضرة المراكشية، عظّمته ملوك الدول وتلقته بالمبرة والخول، أخذ من علوم الشريعة حذا وافرا وبلغ في العلوم القديمة الغاية القصوى والرتبة العليا³.

5. أسباب اهتمام ابن البنا بالتنجيم

لقد لعبت الزاوية الهزميرية بمدينة أغمات الواقعة في أحواز مراكش دورا كبيرا في التكوين العلمي لابن البنا، وخاصة بعلاقته مع مؤسسها أبا عبد الله (ت678هـ/1279) وأخاه أبا زيد الهزميري (ت706هـ/1306)⁴، فالمصادر العربية التي أرخت لهذا الموضوع جميعها ركزت على هذه العلاقة التي تجمع صاحب الطريقة بمريده.

¹ - للمزيد حول ترجمة ابن البناء، أنظر ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، 1973، ق2، صص 148-152. حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، م.س.ص ص20-21. التمهيد في شرح التلخيص، لابن هيدور التادلي، المتوفى سنة 816هـ/1414م. نيل الابتهاج بتطريز الديقاج، أحمد بابا التمبكتي، المتوفى سنة 1036هـ/1626م. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، المتوفى سنة 1066هـ/1656م. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام وملوك الإسلام، أبي الفضل عباس بن إبراهيم المراكشي المتوفى سنة 1378هـ/1959م.

² - عبد الله بن العباس الجراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا، دار الفكر العربي، القاهرة. الطبعة الأولى. 1961. ص.14.

³ - جذوة الاقتباس، ج1، سبق ذكره، ص.148.

⁴ - حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، سبق ذكره، ص.39.

فابن هيدور مثلا يخرجهما من لائحة شيوخ ابن البنا بل يبرز دورهما في نزوع ابن البنا نحو التصوف وإتيان الكرامات والمكاشفات، بمعنى آخر القدرة على التصرف في العالم الأرضي وذلك بتسخير المادة لأهداف سحرية تنجيمية¹، وللتدليل على دفع ابن البنا نحو التنجيم من طرف الهزميري نورد نص مقتطف من جذوة الاقتباس حول الواقعة: "قال ابن الشاطر [توفي ق14م] كان ابن البنا ينظر في أحكام النجوم وأخذ في علوم أهل السنة واشتغل بها فكان أخذاً في الطريقتين بالحظ الوافر وكان يلزم الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الهزميري ودخل في طريقتيه فأعطاه ذكراً من الأذكار ودخل به الخلوة مدة من سنة ودعا له وقال له مَنَّك الله من علوم السماء كما مَنَّك من علوم الأرض، فأراه ليلة وهو مستيقظ دائرة الفلك مشاهدة حتى عاين مجر الشمس فوجد في نفسه خوفاً عظيماً، فسمع قول الشيخ الهزميري وهو يقول: أثبت يا ابن البنا حتى رأى مستوفياً، فلما أصبح قال له الشيخ الهزميري مبتدئاً له أن الله قد فتح لك فيما أراك، فأخذ من ساعتئذ في علم الهيئة والنجوم حتى أدرك منه الغاية"².

أول ما اهتم به ابن البنا في المواضيع التي اشتهر بها علم الأحكام النجومية والعلوم الأخرى الباحثة في خواص الأشياء، والسبب وراء اهتمامه بالتنجيم هو كون شيوخه الأوائل دفعوه لذلك، ونخص بالذكر أبا عبد الله الهزميري الذي دفعه إلى الاهتمام بعلم التنجيم مركزاً على البحث في علميته واطراد قوانينه³.

ومن القصص التي رويت عن ابن البنا في امتحانه التنجيم قصته مع السلطان المريني أبا سعيد بن يعقوب بن عبد الحق بحيث استفسر هذا الأخير ابن البنا عن يوم وفاته، فأجابه أن موته سيكون عند اشتغاله ببناء موضع في قبلة تازة يقال له تازروت فكان ما قاله حقاً⁴.

وقد أشار الباحث رونو في دراسته عن الفلك والتنجيم في مغرب القرن 18م⁵ إلى الأهمية العلمية لمؤلفات ابن البنا الفلكية والتنجيمية، حيث تم الرجوع إليها للإجابة عن مسائل شرعية

¹ - نفسه، ص. 40.

² - جذوة الاقتباس، مرجع سابق، صص. 149-150.

³ - حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، مرجع سبق ذكره، ص. 52.

⁴ - جذوة الاقتباس، مرجع سابق، ص. 149.

⁵ - H.P.J. Renaud, *Astronomie et Astrologie marocaine*, Hespéris, T. XXIX, 1942-

وتنجيمية، ومن بينها تحديد التوجه الصحيح لمحارِب المساجد المغربية، ففي سنة 1276م أمر السلطان المريني أبو يوسف ابن عبد الحق ببناء المدرسة اليعقوبية بفاس فلو حظ انحراف في محراب مسجدها عن محراب مسجد القرويين ولو حظ لاحقا انحراف محارِب بقية مساجد فاس مما استوجب الرجوع إلى مؤلفات ابن البنا للنظر في هذه النازلة¹.

ونقل لنا صاحب جذوة الاقتباس نصا مهما يحكي فيه عن اهتمام ابن البنا بالتنجيم، يقول: "قال ابن الشاطر: كنت قاعدا مع الشيخ ابن البنا الشيخ الفلكي الطيب بمراكش، فإذا برجل قد أتى للشيخ ابن البنا وقال له: يا سيدي والدي توفي وكان متهوما بالمال ولم يترك شيئا. وقيل لي إن ماله مدفون في داره. فبحب خاطرك معي فيه من جناب الله. فنظر الشيخ في نفسه برهة ثم قال له: صور لي صورة الدار في الرمل، فصور له صورتها من غير أن يدع شيئا منها. ثم أمره أن يزيل تلك الصورة فأزالها. ثم أمره أن يصورها ثانية فصورها كأولى فأمره أن يزيلها ثم أمره أن يصورها ثالثة فصورها كأولى والثانية، ثم نظر فيها وقال له إن مالك في هذا الموضع، ثم قبّل يده وانصرف"².

ثم، "قال ابن الشاطر: فبحثت عن الرجل فالتقيت به بعد يومين فأخبرني أنه وجد مال أبيه في الموضع الذي ذكره الشيخ فقضيت العجب من ذلك"³.

6. مؤلفات ابن البنا المراكشي في علم التنجيم

(نقلا عن محمد أبلاغ: رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب، ص 24)

¹ - ابن البنا المراكشي، رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب، دراسة وتحقيق محمد أبلاغ، كلية الآداب، ظهر المهرز، فاس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1994، ص. 24.

² - جذوة الاقتباس، مرجع سابق، ص. 149.

³ - عبد الله كنون، ابن البناء العددي، ذكريات مشاهير رجال المغرب، العدد 32، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، [دون تاريخ]، ص. 17.

تنسب لابن البنا قائمة طويلة من المؤلفات تتجاوز المائة في بعض المصادر، وتبلغ في بعضها الآخر أربعاً وثمانين أو أربعاً وسبعين، أو أربعاً وستين، أو تتفاوت فيما بينها عدداً¹. ويمكن تفسير هذا التضارب في عدد مؤلفاته إلى تركيز بعض الدراسات على المؤلفات التي تبدو أنها أهم مقارنة ببعض المؤلفات الأخرى التي هي عبارة عن رسائل قصيرة أو عدم اطلاع الباحثين على قائمة المخطوطات المكتشفة كما أن أي إحصاء ببليوغرافي لمؤلفاته سيبقى أنياً بالنظر إلى المؤلفات الأخرى المجهولة أو المنسوبة إليه خطأ.

لقد ألف ابن البنا عدداً كبيراً من الرسائل القصيرة في موضوعات مختلفة كالعلوم والتفسير والقراءات وأصول الدين وأصول الفقه والمنطق وعلم البيان والتصوف، وعلم التنجيم². وسنقتصر في عملنا هذا على الوقوف عند مؤلفات ابن البنا في علم التنجيم، ومن أجل الاطلاع بتفصيل على ببليوغرافيا مؤلفات ابن البنا يمكن الرجوع إلى الدراسة القيمة التي أنجزها الأستاذ محمد أبلان والأستاذ أحمد جبار في كتابهما عن: حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي.

*رسالة في الرد على مسائل مختلفة فقهية ونجومية: تبحث هذه الرسالة في مسائل متعلقة بالمواقيت، وهي رسالة جوابية على من يقول إن وقت العصر يعلم بوقوع قرص الشمس على بصر القائم قبالتها، ويبيّن ابن البنا أن ذلك لا يصح في بلد ولا زمان دون زمان³. وقد وردت هذه المقدمة في مجموعة من المصادر التاريخية من بينها: التمهيص، حط النقاب، نيل الابتهاج، كفاية المحتاج، جذوة الاقتباس، الإعلام. وهي رسالة صغيرة توجد في إحدى عشرة ورقة من القطع المتوسط، يجيب ابن البنا بها على طلب بعضهم من أن يدلي برأيه في مسألة حدثت بالمغرب في رمضان عام 700هـ، لما صام أهل فاس يوم الأربعاء، ولم يصم أهل تلمسان ومراكش إلا يوم الخميس، لاختلافهم في رؤية هلال رمضان، فألف ابن البنا رسالته هذه لبيان رأيه القائم على

¹ - بنشقرن رضوان، مؤلفات ابن البنا وطريقته في الكتابة، مجلة المناهل، العدد 33، 1985، ص. 207.

² - الخطابي محمد العربي، من التراث العلمي في الغرب الإسلامي: رسالة ابن البنا على الصفيحة الزرقالية الجامعة (تقديم وتحقيق)، مجلة دعوة الحق، العدد 241، محرم 1405 أكتوبر 1984.

³ - جذوة المقتبس، ج. 1، ص. 51. أحمد جبار، محمد أبلان، حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، ص. 82.

الحساب¹، توجد نسخة مخطوطة منها في الخزانة الصبيحية بسلا، ضمن مجموع يحمل رقم 1624، وهي تامة مكتوبة بخط مغربي واضح، لكنها خالية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ².
*كتاب الأنواء: وهو منشور بتحقيق المستشرق الفرنسي رونو³ 1948، كما تم تحقيق الكتاب من طرف الباحثان إبراهيم القادري بوتشيش وسعيد بنحمادة، إذا قام بنشر رسالتين في الأنواء لكل من عريب بن سعد القرطبي وابن البنا المراكشي، يصرحان في هذا الكتاب بأسبقية نشره من طرف بول هنري جوزيف رونو Paul Henri Joseph Renaud، مرفقا إياه بترجمة فرنسية للنص العربي، معتمدا على خمس نسخ، وهي نسختا المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، ورقمهما 6020-4764، ونسختا المكتبة الوطنية بالجزائر ورقمهما 1468-941، ونسخة خاصة في مدينة سلا⁴، ولعل السبب الذي دفع بالباحثان على إعادة نشر هذا النص رغم نشره من طرف رونو مند منتصف القرن الماضي، هو عدم اعتماد رونو على نسختي الرباط، اللتين انفردتا بإضافات هامة، كانت هي الدافع إلى تحقيق هذا النص من جديد، تحقيق سعى من خلاله إلى ربط الرسالة بسياقها الحضاري بالأندلس والمغرب خلال العصر الوسيط⁵، فالنسختان المعتمدتان في تحقيق الكتاب من طرف الباحثان نسخة من الخزانة الحسنية تحمل رقم: 9023 (ضمن مجموع)، ونسخة المكتبة الوطنية بالرباط التي توجد ضمن مجموع رقمه: 2765⁶. تبدأ المخطوطة بعد البسملة والتصلية على النبي بعبارة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام

¹ - كُتبت في موضوع اختلاف رؤية الهلال والأدوات المستعملة في تحديده الكثير من المؤلفات، ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى مؤلفين متأخرين قاربا هذا الموضوع، وهما: إثبات الشهور الهلالية ومشكلة التوقيت الإسلامي- دراسة فلكية وفقهية-، نضال قسوم وآخرون، دار الطليعة بيروت، ط2 منقحة ومزودة، 1997. علال الفاسي، الجواب الصحيح والنصح الخالص عن نازلة فاس، الرباط، ط1، 1965.

² - بنشقرن رضوان، مؤلفات ابن البناء وطريقته في الكتابة، مجلة المناهل، العدد 33، 1985، ص. 212-213.
³ - المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 20، ط3، 2000، ص. 367.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، سعد بنحمادة، رسالتان في الأنواء لعريب بن سعد القرطبي وابن البنا المراكشي، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- مكناس، 2015، ص. 31.

⁵ - نفسه، ص. 31.

⁶ - نفسه، ص. 32-33.

المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أجمعين صلاة متصلة إلى يوم الدين، وبعد.....)وتختتم بآخر جملة وردت في المخطوطة وهي: (انتهى التقييد بحمد الله وحسن عونه من هذا التأليف المبارك) دون الإشارة لتاريخ النسخ¹.

* تأليف غريب في أحكام النجوم: تأليف في أحكام النجوم (جدوة، إعلام)².

* ثلاثة مداخل لصناعة النجوم³. فبالنظر إلى العنوان الموضوع من قبل ابن هيدور فإن

الأمر يتعلق بثلاثة كتب مستقلة كل واحد منها عبارة عن مدخل إلى صناعة الأحكام النجومية.

* المدخل إلى صناعة النجوم. فيما يخص النصوص المخطوطة الموجودة لهذا المؤلف هي

كالتالي: القاهرة، 204، 2 مم، 9 ظ-21 و (1025هـ)، 714-1 زك، 1 ظ- 15 و (1250 هـ تقديرا). وردتا في

فهارس كينج تحت عنوان: رسالة في الأحكام النجومية. - إستانبول، شهيد باشا 3-2774، و 10-13،

تحت عنوان: رسالة في أحكام النجوم. - الرباط، الخزنة العامة 2000 د⁴ 3، ص 65-95 (26 ربيع

الثاني 1311 هـ محمد بن علي الأغزاوي) تحت عنوان: المدخل إلى صناعة النجوم⁵ كما يحمل هذا

المؤلف تسمية أخرى مقدمة في أصول أحكام النجوم¹.

¹ - نفسه، ص. 33.

² - جدوة المقتبس، ج 1. ص. 51. حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، مرجع سابق، ص. 119.

³ - بنشقرن رضوان، مؤلفات ابن البناء وطريقته في الكتابة، مجلة المناهل، العدد 33، 1985، ص. 22.

⁴ - كتب سالم يفوت مقالا علميا عن هذا المؤلف ونشره ضمن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، راجع:

سالم يفوت: "مدخل لقراءة المدخل إلى صناعة أحكام النجوم لابن البنا المراكشي"، ضمن العلم والفكر العلمي

بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط، سلسلة ندوات، العدد 94، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

الرباط، ط1، 2001، ص: 133-141.

⁵ - مقتطف من بداية ونهاية مخطوط الرباط 2000د، ص. 65: بداية المخطوط. بسم الله (.....) وللشيخ الإمام

الجهيد (....) ابن البنا (.....) الحمد لله العلي القادر الذي خلق بعد عدمه الدوائر وجعل في حشوه العناصر (...). وبعد:

فإن من تقدم من الحكماء نظروا في موجودات خالقهم سبحانه وتعالى، فرأوها إما حاصرا أو محصورا. والحاصر

علوي دائم التحرك والمحصور دائم التغيير والاجتماع والافتراق. وهذا المحصور يعرض له الكون والفساد ولم يظهر

ذلك في الحاصر. فيلزم من اعتبارهم أن يكون الحاصر أقوى وأبعد مما يعرض للمحصور. نهاية المخطوط: وأستكثر

في الأدلة من القرانات الجزئيات وتحاويل السنين وتسيير دليله في القران إلى موضع النحوس وأشعتها وسهم الملك

وسهم السلطان فيه. حتى تكثر الشهادات، فينقطع عمره على ذلك. والكيس الفطن يقيس الأشياء بما يناسب في

المحسوسات ويقابل أمر الطبع في الأمر الذي ينظر فيه وبالله التوفيق. وقد نجزت هذه المقالة على يد أفقر الوري

*الكلام الكلي الضابط لأحكام النجوم. مخطوط موجود بمديرية الإسكوريال 38,918 و -

38ظ. وهذا نص الرسالة كاملا كما أدرجه الباحثان أحمد جبار ومحمد أبلأغ.²

*مدخل ثالث للأحكام النجومية.

* الرد على الأحكام النجومية (غير مذكور في كل المصادر الأخرى).³

* الرد على البوني: ينفرد ابن هيدور بذكره. ربما يكون هذا المؤلف كتابا عن التنجيم إذ ربما المقصود هو البوني (ت622هـ/1225) الذي كان منجما. وهو مؤلف كتاب شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف.⁴

* في الموثوق والمسجون. مخطوطات، مدريد، الإسكوريال، 36,918 و-36 ظ⁵.

إنّ الملاحظة الأساسية التي نسجلها فيما يخص مؤلفات ابن البنا على الأقل في علم التنجيم تقع في صفحات معدودة، وبالتالي لا عجب كما قال الباحث رضوان بنشقرن إن تعددت مؤلفاته وتجاوز عددها المائة. مادام أغلبها رسائل صغيرة، وكذلك ما دام ابن البنا كان يتميز بفكر موسوعي، فكانت له في كل العلوم مشاركات قيمة أثارت إعجاب المفكرين في عصره، كما أذهلت الأوربيين فيما بعد فاقتبسوا منها واتخذوها منطلقا للتفكير الأوربي الحديث خاصة في مجال الفلك والرياضيات.⁶

لكن انتساب كتب التنجيم لابن البنا جميعها لا يلقى إجماعا من طرف الباحثين، فهناك من الباحثين من يشكك في ذلك. (أحمد جبار، محمد أبلأغ). يقول الباحثان بأن أول ما نسب إليه

إلى الله محمد بن علي بن عمر بن علي الأغزاوي (...). في منتصف يوم الأحد ربيع 2 عام 1311هجرية. (حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي. م.س، ص.120).

¹ -ورقات عن حضارة المرينيين، مرجع سابق، ص.367.

² - أنظر تحقيق هذه الرسالة ضمن: (حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي. مرجع سابق، ص.176-175).

³ - أنظر: حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي. نفسه، ص.121. وانظر كذلك: مؤلفات ابن البنا وطريقته في الكتابة، سبق ذكره، ص.221.

⁴ - حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، سبق ذكره، ص.134.

⁵ - أنظر تحقيق الرسالة ضمن: حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، نفسه، ص.137.

⁶ - نفسه، ص.209.

في هذا المجال هي النصوص التي وصلنا بعضها محفوظا في خزانة الإسكوريال بالقرب من مدريد. إلا أن فحصها يبين لنا أنها أو على الأقل جزءا منها ربما تكون ليست من تأليفه ولم يعمل ابن البنا سوى على نسخها بيده ربما بإملاء من شيخ له في هذا العلم فنسبت له¹.

إذ هناك احتمالين في هذه القضية الأول هو أن يكون الناسخ يقوم بالنقل من النسخة الأصلية المكتوبة بخط ابنا البنا نفسه، والثاني هو أن يكون ابن البنا قد نقل هذه النصوص بخط يده دون أن تكون من تأليفه، لكن المرجح حسب الباحثان هو الاحتمال الثاني، ومرد ترجيحهم لهذا الاحتمال هو وجود جملة غريبة موضوعة داخل نصوص ابنا البنا والتي تقول (وذكر لي الفقيه أبو عبد الله العددي رحمه الله أن الشيخ أبا العباس نقله عنه بخط يده)²، فبعض النصوص التنجيمية التي وصلتنا ليست في غالب الأحيان من تأليفه، بل أملاها عليه أحد شيوخه في بداية حياته العلمية في وقت كان فيه قوي الاعتقاد بالأحكام النجومية، فهناك احتمال شهرة ابن البنا في مجال التنجيم هي السبب وراء نسبة بعض النصوص إليه وبذلك يضيع كاتبها الأصلي³.

7. موقف ابن البناء من علم التنجيم:

لقد كان ابن البنا في بداية الأمر يعتقد في علمية الأحكام النجومية بمعنى آخر خضوعها لقوانين علمية مضبوطة مما جعله يبحث في القوانين المتحكمة فيها والأصول الضابطة لها⁴. كما أنه قام بالتأليف كثيرا في علم التنجيم لكنه اقتنع بعدم علمية التنجيم أي باستحالة اطراد قوانينه⁵. ومن أجل أن نوضح تشبث ابن البنا بالبحث عن قانون إخباري مطرد في الإخبار بالمغيبات سننقل كلام ابن الشاطر الذي ساقه ابن هيدور، وهذا نص الرواية "أخذ من ذلك الوقت في طلب علم الهيئة والنجوم حتى أدرك في ذلك الغاية التي لم يلحقها أحد في زمانه، إلا أنه لم يصحّ عنده الإخبار بالكائنات قبل كونها، ولم يطرد له في ذلك قانون مما ذكره أصحاب تقدمة المعرفة فكان

¹ - حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، سبق ذكره، ص ص.53-52.

² - نفسه، ص.53.

³ - نفسه، ص.53.

⁴ - نفسه، ص.40.

⁵ - نفسه، ص.40.

يحس من ذلك في باطنه أمرا عظيما، وأخذ يستقصي في ذلك جميع أصول أحكام النجوم، ولم يدع في ذلك ما قاله الأقدمون شيئا إلا جرّبه واختبره، فلم يحصل له في ذلك قانون إخباري مطّرد¹.

نستنتج من خلال مقدمة ابن الشاطر أن المرحلة الأولى التي تميزت بانكباب ابن البنا على دراسة وبحث القضايا المتعلقة بالتنجيم وأحكامه آلت إلى الفشل على مستوى النتيجة التي انتهى إليها بعدما استغرق وقتا طويلا في دراسة كتب القدماء لاستخلاص قوانين مضبوطة، لذلك سنجد ابن الشاطر ينتقل مباشرة للحديث عن المرحلة التالية لاشتغال ابن البنا على مستوى التنجيم. والتساؤل الذي شغله خلال هذه المرحلة متعلق بإمكانية وجود سبل أخرى لاستخلاص قوانين عامة في ميدان التنجيم، فكانت الخلوة والصوم والزهد المسالك الأساسية التي اتبعها لحدس قوانين التنجيم. في هذا السياق يقول ابن الشاطر: " وبقي على تلك الحالة سنين إلى أن استعمل الصوم والخلوة لتصحيح مراده وأن يُخبر بقانون مطّرد في الإخبار بالمغيّبات فدام في تلك الخلوة عدة أيام على أن رأى يوما بين يديه في صلاة كان يصلحها صورة قبة من نحاس مصنوعة بصنائع لم ير مثلها في عالم الحس وهي محبوسة في وسط الهواء وفي داخلها شخص يتعبد فهاله ما رأى من صور مفزعة وسمع أصواتا مهولة تناديه أن أدنُ منا فلم يثبت له جأش وأغبي عليه وصار يهدي فمرّضه أهله مدة إلى بلغ خبره للشيخ الهزميري، فعاده ومسح رأسه فزال ما به، وسأله عما رأى فأخبره، فقال له أنا كنت ذلك الرجل الذي في القبة أمرت أن أخبرك في ذلك المقام فلم تثبت، وها أنا ذا أخبرك في عالم الحس. ثم أخبره بمطلبه بعد أن أخذ عليه العهد ألا يعلمه لأحد إلا بعد الإذن².

نستخلص من قول ابن الشاطر فكرتين أساسيتين:

- عدم اهتمام ابن البنا في المرحلة الأولى من حياته إلى استخلاص قوانين مطردة في مجال التنجيم وأحكامه من خلال البحث في كتب القدماء المتعلقة بذات الموضوع.

¹ - عبد الله كنون، ابن البناء العددي، مرجع سبق ذكره، ص. 14.

² - عبد الله كنون، ابن البناء العددي، م. س. ص. 14-15.

– توسله بطرق الزهد والمجاهدة والخلوة لأجل حدس الحقائق الخفية و حدس قوانين التنجيم التي عجز عن تحصيلها باعتماد طرق العلم الاستقرائية، وكان الهزميري شيخ طريقته.

نتساءل الآن: هل توقف مسار بحث ابن البنا في مجال التنجيم عند هذا المستوى المؤطر بطرق الزهد والمجاهدة أم أن هذه المرحلة كانت مجرد بداية لمسالك أخرى ستتناسب مع تعميق تكوينه العلمي في مجال الرياضيات؟

يبدولنا من خلال قائمة مؤلفات ابن البنا اللاحقة أنه غير موقفه من علم التنجيم رغم أن ذلك لم يكن يسيرا إذ تطلب الأمر وقتا طويلا، زيادة على مجهودات كبيرة موزعة بين عقلية وبدنية كبيرة قبل الاقتناع بعدم علمية التنجيم¹.

ونحن أن يكون تراجع ابن البنا عن الاهتمام بالتنجيم وما يتعلق به من أحكام راجع إلى عدم وجود قانون علمي مطرد رغم التأثير الذي مارسه شيخه الهزميري من الناحية الروحية في إقناع ابن البنا بصدق المقدمات التنجيمية واعتبارها من الأسرار التي لا ينبغي كشفها لأي كان. ترتبط العلويات والسفليات بالنسبة إلى البنا ارتباطا مشاكلة ومناسبة واتفاق².

ومعنى ذلك أن جميع الحوادث مقدره من طرف الله ومكتسبة من طرف المخلوقات. ذلك أنّ العادة جرت على أن حدوث ب يقع كلما حدث أ دون أن يكون أ العلة الفاعلة ل ب بالضرورة. وينسجم هذا التصور مع روح الشريعة والموقف الأشعري الذي يقول بالكسب³.

لذلك يتحدث ابن البنا عن طباع كل كوكب وعن تأثير العالي في السافل لرصد ملامح الاطراد واتفاق الأمور مع اعتبار الله الفاعل الواحد⁴.

هكذا، يستعمل ابن البنا ومن خلال مؤلفاته اللاحقة - بل وحتى في كتاباته التي تغطي المرحلة الأولى - مفاهيم علمية مضبوطة مستقاة من دراساته الاستقرائية والبرهانية فنجده يعنون بعض

¹ - حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، سبق ذكره، ص.54.

² - مدخل لقراءة المدخل إلى صناعة أحكام النجوم، سبق ذكره، ص. 137.

³ - نفسه، ص. 138.

⁴ - نفسه، ص. 140.

كتاباتة بالمنهاج، نذكر منها:الكلام الكلي الضابط لأحكام النجوم¹، منهاج الطالب في تعديل الكواكب²، المنهاج في رؤية الأهلة، المنهاج في تركيب الأزياج، قانون في معرفة الأوقات بالحساب، قانون في فصول السنة، قانون في ترحيل الشمس³.

فابن البنا كما قلنا كان حريصا شديد الحرص على الالتزام بالمنهج العلمي في تقرير المسائل العلمية، لذلك افترضنا عدم اقتناعه بجدوى الطرق القائمة على الزهد والمجاهدة في تثبيت الأحكام النجومية وتقرير علميتها بالنسبة إليه ويقوي هذه الفرضية ما ذهب إليه الباحثان عبد الله كنون وجورج سارطون في سياق حديثهما عن مدلول المنهاج والمناخ في كتابات ابن البناء الفلكية⁴. كان من الطبيعي أن ينتقل للطور الثاني من حياته العلمية وهو الذي سيخصّص فيه بعض كتاباته العلمية لنقد الأحكام النجومية والمشتغلين بها، ونذكر من أبرز المؤلفات في هذه المرحلة ما يلي: ردّ على ابن العظيم الزموري في خلوته ورد على البوني، الرد على الأحكام النجومية وكونها باطل وكتابه رسالة [نقدية] في مسائل نجومية وفقهية⁵.

ويجب التأكيد في هذا السياق على أن موقف ابن البنا من التنجيم بين المرحلتين لم يكن واضحا بما يكفي للخروج بتصوّر جازم بشأن تبنيه للتنجيم من عدمه ولكن يظهر جليا من خلال المؤلفات التي تعتبر الوثيقة الوحيدة لبناء موقف موضوعي بصدد الفكر التنجيمي لابن البنا تؤكد لنا عن ضبابية موقف ابن البنا، ويمكن أن نختم القول بالاستشهاد بما كتبه سامسو عنه، حيث قال: "كان [ابن البنا] مهتمًا بالموضوع خلال المراحل المبكرة من حياته العلمية، فهو كتب عدداً من الاختصارات للأعمال الفلكية التي لديها القليل من الأصالة واهتمام محدود للغاية. ومع ذلك، فإنهم يشهدون على حقيقة أنه يتبع تقليداً أندلسياً مغاربياً له خصائص معينة

¹ - حياة ومؤلفات ابن البنا المراكشي، سبق ذكره، ص. 176.

² - ابن البناء المراكشي، منهاج الطالب في تعديل الكواكب، تحقيق خوان برنيتخينس، دار الطباعة المغربية، تطوان، ط1، 1952.

³ - ابن البناء العددي، م. س، ص. 28.

⁴ - نفسه، ص. 20.

⁵ - نفسه، ص. 29.

تختلف عن تلك الموجودة في المنطقة الإسلامية الشرقية. من ناحية أخرى ألف رسالة بعنوان:
رد على الأحكام النجوم (دحض الأحكام الفلكية)، والذي يبدو أنه كتب في الفترة الثانية من
حياته العلمية (1290-1301).

من الصعب التوضيح ما إذا كان ابن البنا قد فقد إيمانه بالطابع العلمي لعلم التنجيم
حيث أن منهاج الطالب (الذي كُتب على ما يبدو خلال نفس الفترة) يصف تقنيات علم التنجيم
الرياضي وأن السلطان المريني أبو سعيد استشاره كمنجم¹.

¹Julio Samsó. *Ibn al- banna : Abu al- Abbas Ahmad ibn Muhammad ibn Uthman al- Azdi al- Marrakushi*, The Biographical Encyclopedia of Astronomers, Springer Reference, New York: Spriger, 2007, p. 552.